

النحو والنحاة

د. عبد الكريم محمد الأسعد

ضوء على البحث:

هذا مقال أشبه ما يكون بتاريخ النحو والنحاة منه بالنحو نفسه، وقد تطرّق
بإيجاز إلى مجموعة من الأمور هي:



- ١ - إيراد الخلاف في وجود لهجة خاصة ممتازة ومتميزة لقريش.
- ٢ - ذكر أسباب وجوب الاهتمام باللغات الأخرى - ولاسيما لهجة تميم - إلى جانب لهجة قريش، في الدرس النحوي.
- ٣ - القول في الشواهد التي سمعت بلغات أخرى تتناقض مع القواعد النحوية الموضوعية وفقاً للغة معينة معتمدة ومفضلة هي لغة الحجاز، اتعدّ شاذة تحفظ

ولا يقاس عليها، أم هي مقبولة ولكن يجب تأويلها، أم هي لغة صحيحة سليمة مطردة يسوغ القياس عليها والافتداء بها ؟

٤ - الكلام عن اللغة والنحو: هل هما توقيفان قديمان أم حادثان متطوران؟ وهل نشأ معاً أم متعاقبين؟

٥ - التحقيق فيما إذا كان النحو العربي قد اعتمد في أوائله على غيره من نحو الأقوام الأخرى، والحديث عن الحركات وتطورها.

٦ - سرد تعريفات شتى لعلم النحو من حيث هو، وبيان لصلته الوثيقة بفروع العربية الأخرى وليدان هذه الفروع جميعاً.

٧ - الكشف عن أسبق هذه الفروع إلى الوضع والتدوين مع الإسهاب في تعليل ذلك بالإقاضة في موضوع اللحن في الإعراب على السنة العامة والخاصة وفيما ألف في هذا الموضوع.

٨ - عرض كافٍ لقضية وضع النحو ووضعه وقت الوضع مع إظهار ما في ذلك كله من اضطراب في الأقوال الكثيرة وعماية في الروايات المتعددة، وقد أوردت في سبيل تجلية ذلك كثيراً من النقول وفيضاً من الاعتراضات والإجابات عليها، كذلك أبنت الاضطراب الذي أصاب الروايات المتعلقة بالسبب الذي حمل أبا الأسود في أرجح الأقوال على وضع النحو، وبأول الأبواب التي وضعها فيه، وأظهرت الميل إلى أن تكون هذه الروايات المضطربة سبباً وجيهاً يحمل على غلبة الظن بتعدد بواعث وضعه أبواب النحو المتعددة لا بتوحيدها.

٩ - إيضاح للظروف التي نما النحو فيها وأزدهر في البصرة والكوفة بالذات مع بيان لكيفية نشوئه ثم لمراحل تطوره المتعاقبة ولما فيها من علامات بارزة جديدة بالتسجيل، يضاف إلى ذلك حديث سريع عن الخليل وسيبويه كائنين من أقدم النحاة وأبرزهم على مرّ العصور، وكذلك عن كتاب سيبويه والطابع العام للدرس النحوي فيه وظاهرة تضعف أقوال أستاذه الخليل.

١٠ - تسجيل ما آل إليه الدرس النحوي في مرحلته الأخيرة الممتدة إلى اليوم من تأثر مفرط بالمنطق مع التمثيل لهذا، وذلك بصرف النظر عما تشلّ هذه المرحلة أخيراً من محاولات بعض المعاصرين غير الحاسمة في سبيل نحو ميسر مبسط سهل.

١١ - رواية شيء من مواقف بعض النحاة القدامى في رفض الاتجاه الفلسفي في الدرس النحوي، ثم دفاع عن النحو التقليدي ودعوة إلى التوسط بين طريقتي النقيض بالأخذ بهذا النحو مع الحرص على تنقية بعض مسائله التي غلبت عليها التعمية والتكلف والتعقيد والاقتعال من هذه الشوائب.

١٢ - إيراد مواقف طريقة وأشعار طريقة لأناس من الخاصة والعامة في كره النحو وهجاء النحاة ثم سرد ما سوارت أخرى تضادها في الاتجاه فتدعو إلى درس النحو وحبّه والاهتمام به، وقصص لطيفة تظهر فائدته ومنزلة النحاة وتكشف عن مدى اعتزازهم بأنفسهم وعن صور من تكريم المجتمع لهم وتحدث على الاقتداء بهم والاطلاع على آثارهم.

* * *

لا بدّ - ليكون للكلام على علم النحو ثمرته المفيدة القائمة على أساس واضح متين - من التعرّض للغة لأنها ميدانه الفسيح ومادّته التي بني عليها ودار فيها، فاللغة العربية هي اللغة التي نطق بها أفراد القبائل في شبه الجزيرة، وكانت متنوعة بفتوّع هذه القبائل، وهو ما يعرف باللهجات، وقد سادت لهجة قريش غيرها من اللهجات «لأن الله تعالى اختارهم من جميع العرب واختار منهم محمداً صلى الله عليه وسلم، فجعل قريشاً قطان حرمه وولاة بيته، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يقدون إلى مكة للحج ويتحاكمون إلى قريش في دارهم، وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة أسنتها إذا انتهت الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى سلائقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أقصح العرب»^(١).

ويبدو أن هذا القول حمل فريقاً من الباحثين^(٢) على أن ينفي وجود لهجة خاصة لقريش، وعلى أن يعدّ ما سُمّي بلهجة قريش مزيجاً من لهجات القبائل تكوّن على مرّ الزمن وأنتهى به الأمر إلى أن يكون لهجة الحجاز الذي تسكنه قريش.

وقد رُدّ هذا بأنّ لقريش لهجة خاصة ممتازة وأنّ هذه كانت تهضم ما يفد إليها من اللهجات الأخرى. وسواء أتمحت اللهجة القرشية الأولى وحلّ محلّها هذا الخليط من اللهجات الأخرى أم لم تمنح فإننا ما نزال نجد أنفسنا أمام لهجة متماسكة ومتميّزة عن غيرها من اللهجات الأخرى ويستوى في ذلك أن نسمّيها لهجة قريش أو لهجة الحجاز^(٣).

وأياً ما كان الأمر فإنّ الاهتمام بلهجة قريش التي كانت لغة القرآن والتي أورتنا الكثير من الآثار الدينية والأدبية ينبغي أن لا يصرفنا عن الاهتمام باللهجات العربية الأخرى التي تشترك مع لهجة قريش في الخصائص العامة للغة العربية، فقد قرئت بعض آيات القرآن بغير لهجة قريش على ما رأيناه في قراءة عاصم وحمرّة والكسائي من السبعة بكسر حاء «حج» من قوله تعالى: «ولله على الناس حج البيت... الآية»^(٤) وهي لغة نجد^(٥)، وعلى ما نراه في قراءة ورش مثلاً لقوله تعالى: «فمن أوتي كتابه بيمينه»^(٦)، بضمّ النون^(٧)، وقوله تعالى: «قد افلح المؤمنون»^(٨)، بفتح الدال، وذلك للنقل^(٩)، وفي قراءة الحسن وزيد بن عليّ على لغة تميم لقوله تعالى: الحمد لله بكسر الدالّ للاتباع^(١٠)، كذلك كان كثير من فحول الشعراء ممّن يحتجّ بشعرهم من غير قريش كالفرزدق القائل:

ما أنت بالحكم الترضى حكومتَه ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل

حيث لم يجعل النحاة «ما» في البيت حجازية وما بعدها اسمها وخبرها مراعاة للغة الشاعر صاحب البيت لأنّه تميميّ، وبنو تميم تهمل ما، وإنّما إعمالها لغة أهل الحجاز^(١١) ولولا المزايا الخاصة التي أنفردت بها كل لهجة ما اختلف التميميون وغيرهم مع الحجازيين الذين لا يشكّ أحد في فصاحتهم جميعاً على اختلاف قبائلهم، بل ما كانت لغة تميم أقيس أحياناً من لغة الحجاز، وتشهد صور الخلاف المتعددة بين اللهجات

العربية التي نقلها إلينا النحويون بما كان للهجة تميم خاصة من قوة ونفوذ في بعض المسائل ربّما فاقت قوة لهجة قريش ونفوذها، من هنا فإنَّ «الناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطيء» وإن كان غير ما جاء به خيراً منه^(٨)، أما وجدناه في بطون الكتب القديمة من شواهد سمعت بلهجات أخرى غير لهجة قريش وتناقضت لذلك مع القواعد النحوية الموضوعة وفقاً للّهجة القرشية وأنتمس النحويون لها تخريجات شتى كالحمل على الشذوذ أو التأويل ليقبلوها بعد أن يجعلوها منسجمة مع ماقدّموا، فهو في الحقيقة من بقايا اللغة العربية في مراحلها الأولى يوم كانت لا تلتزم تماماً طرق الأداء وعلامات الإعراب المعروفة، يتمثل هذا في القاعدة النحوية القاضية بإفراد الفعل مع الفاعل المثنى أو الجمع، إذ رأينا أمثلة متعددة^(٩) تخالف هذه القاعدة، وقد سميت لغة (أكلوثي البراغيث) وهي لغة قبائل من العرب هم أزد شنوءه أوطيء أو بلحارث، وهذا يحملنا على الاعتقاد بأنَّ هذه اللغة في التعبير أسبق من القاعدة النحوية وأنها صحيحة فصيحة لا داعي لتخريجها لتتفق مع قاعدتهم، وهي كذلك منسجمة إذ الأليق أن يجمع الفعل مع الجمع ويثنى مع المثنى ويفرد مع المفرد، لذلك رأينا الثعلبي مثلاً يذهب إلى أن العرب ربّما جمعت الفعل عند تقدمه على الاسم «لأنَّه الأصل»^(١٠)، قاللغة ينبغي أن تدرك بالذوق والحسّ قبل المنطق والعقل اللذين أعتمدتهما النحاة في هذه المسألة ليقيموا عليهما قولهم بأنَّ حالة إفراد الفعل مع ثنية الفاعل أو جمعه هي القياس وأنَّ ترك ذلك خروج عنه^(١١)

ومرّد ما تمكّن النحاة من تخريجه من الشواهد التي خالفت القواعد، وما استعصى عليهم تخريجه منها فسّموه لذلك لحناً، هو في الحقيقة أنَّهُم لم يعرفوا اللهجات الأخرى غير لهجة قريش معرفة واسعة أو لم يطلعوا عليها أطّلاً كافياً أو ظلّوا خطأ بأنَّ العرب أصحاب اللغة يغلطون أو يتكلمون على غير قياس لغتهم، ولو لم يكن ذلك كلّ لقبلوا كلّ الشواهد وصحّحوها وأسندوها إلى لهجاتها المتعددة المقبولة دون حاجة إلى التأويلات البعيدة والتخريجات العجيبة.

وقد جرى الخلاف في اللغة العربية نفسها، أي توقيفية قديمة لم تعرف اللحن في مفرداتها والنحاة في قواعدها؟ أم هي حادثة متطورة لم توجد منذ أول عهدها كاملة

ناضجة وإنما سارت وفقاً لقوانين التطور الطبيعي ومَرَّت بمراحل الطفولة والشباب ثم النضوج الذي نراه متمثلاً فيمَا نقرأه من آثارها التي بلغت درجة شاملة من الثنوع والاتساع والدقة والانضباط والرقِيّ والقدرة على التعبير عن أدقِّ الأشياء وأعمقها مع الالتزام بطرق الأداء الخاصة وبالنظام الدقيق في ملاحظة علامات الإعراب من حركات وحروف.

وكما ذهب ابن فارس^(١٢) وغيره إلى أنَّ اللغة توقيفية قديمة صحيحة الإعراب لم تعرف اللحن ولا الخطأ في مفرداتها وقواعدها، ذهبوا إلى أنَّ النحو كذلك توقيفي قديم نشأ مع اللغة التي لم يعرف أصحابها اللحن والخطأ فيها، والأولى خلاف ذلك في الأمرين معاً، لأنَّ اللغة في حياتها تخضع لتطور المجتمع، فكُلَّمَا اتَّسع اتَّسعت وتعدَّدت تراكيبها، وأساليبيها تتشكَّل في العادة وفق ما يستلزمه نموه في جميع نواحي الحياة فيه، وحين تستطيع اللغة مسابرة المجتمع في إحساسه وتصوره وخياله وإدراكه فإنَّ ثروتها في التراكيب والأساليب والمفردات تكون قد استكملت إلى حدِّ كبير، وتكون بذلك قد أصبحت أرضاً صالحة ممهَّدة لاستخراج الملاحظات النحوية منها ثم لاستنباط النحاة قواعدهم وأحكامهم النحوية تبعاً لهذه الملاحظات.

إنَّ هذا يعني بوضوح أنَّ النحو لم ينشأ مع اللغة وإنما كان مرحلة لاحقة من مراحل نموها ومظهرها تالياً من مظاهر رقيها، وأنَّه وليد العقل في حين أنَّ اللغة كانت وليدة الحسِّ الذي يسبق وجوده وجود العقل على المعتاد على ما يدلُّ عليه عدم وجود النحو إلَّا في اللغات الراقية بأنَّها الأدبية والعلمية الواسعة.

والنحو على كل حال هو مجموعة القواعد التي تلتزم بها أساليب اللغة في طرق أدائها للمعاني مع السير على نهج هذه القواعد ووضعها موضع التنفيذ عن طريق الالتزام كل حالة من حالات الإعراب المختلفة في كل حالة من حالات الكلمة بالنسبة لموضعها من الجملة كاللزام الرفع في كل فاعل واللتزام النصب في كل مفعول واللتزام الجزم والجزم في أماكنهما.

وقد سمِّي هذا العلم في مرحلته الأولى زمن عليّ وأبي الأسود (العربية) ولم يقصد بها آنذاك القواعد التي تضبط اللغة وتعلَّم النطق بها وهو المعنى الإصطلاحي

الذي أخذ يقصد من النحو أخيراً بعد أن مرّ بما يفيد شموله للمقصود، يعلم الصرف الآن ثم سار بعد ذلك خطوات واسعة في طريق النحْو فتخصّص بمعناه الدقيق ووضعت فيه مؤلفات خاصة باسمه اقتصررت على أبحاث وحدها.

والمعنى اللغويّ العام للنحو هو الاتجاه والقصْد، ثم سُمّي هذا العلم بهذا الاسم أخذاً من هذا المعنى بعد أن خصّص عمومته بالمعنى الاصطلاحي الخاص للمناسبة بينهما، وتخصيص العام أمر شائع كصرف الكتاب إذا أطلق إلى كتاب سيبويه وصرف الصلاة إذا أطلقت وهي في اللغة الدعاء إلى العبادة المعروفة، قال ابن جني عن النحو «هو في الأصل مصدر شائع أي نحوت نحواً كقولك قصدت قصداً، ثم خصّ به انتحاء هذا القبيل من العلم»^(١٣)

ويبدو أن لفظ النحو والنسبة إليه كان مما جرت به الألسنة قديماً فقد اصطلاح على تلقيب يوحنا^(١٤) الاسكندراني النصراني الذي عاش زمن الرسول وأدرك فتح عمرو بن العاص لمصر بيحي النحوي. ولكن المشهور أن علم النحو إنما سُمّي^(١٥) بهذا الاسم لقول عليّ لأبي الأسود لما عرض عليه ما استنبطه وأهتدى إليه من بعض أسسه: ما أحسن هذا النحو الذي قد نحوت! أتتج هذا النحو. وهو الظاهر لأن كلمة نحويّ أطلقت قديماً على اللغويّ وسأوتها^(١٦) في المعنى مما يحمل على الاعتقاد بأن تلقيب يوحنا بهذا اللقب لم يقصد به أنه يدرس النحو ويضيف إليه بالمعنى الذي يفهم الآن منه.

وقد عاد فريق من الباحثين بالنحو العربي إلى أمم أخرى لما لا حظّوه من نشوئه والاشتغال به في العراق على يد نخبة كان كثير منهم من غير العرب الذين أفادوا من لغاتهم الأصلية في وضع قواعد النحو العربيّ وتقسيمه وتبويبه حيث ظهر ناضجاً فجأة في كتاب جامع هو كتاب سيبويه، ولما وجدوه من التشابه بينه وبين النحو السرياني أو الكلداني أو اليوناني في التبويب وفي تقسيم الكلمة وفي حركات الإعراب على سبيل المثال، يقول جرجي زيدان عن النحو العربيّ «يقلب على ظننا أنهم نسجوا

في تبويبه على منوال السريان لأنَّ السريان دَوَّنوا نحوهم وألَّفوا فيه الكتب في أواسط القرن الخامس للميلاد... فالظاهر أنَّ العرب لما خالطوا السريان في العراق اطلعوا على أدابهم وفي جعلتها النحو فأعجبهم، فلما أضطروا إلى تدوين نحوهم نسجوا على منواله لأنَّ اللغتين شقيقتان، ويؤيِّد ذلك أنَّ العرب بدأوا بوضع النحو وهم في العراق بين السريان والكلدان، وأقسام الكلام في العربية هي نفس أقسامه في السريانية^(١٦) ويقول عن الحركات «أول من رسمها أبو الأسود الدؤلي فبأنَّه وضع نقطاً تمتاز بها الكلمات أو تعرف بها الحركات... والأرجح أنَّه اقتبس ذلك من الكلدان أو السريان جيرانه في العراق... أمَّا صور الحركات التي وصلت إلينا نعني الضمة والفتحة والكسرة فلا نعلم واضعها أو واضعيها ولا الزمن الذي وضعت فيه، ولكن الغالب أنَّها وضعت في القرون الأولى للإسلام... اقتداء بالسريان»^(١٧) ويقول الرافعي إنَّ دلائل الحركات الخطية لم تكن عند العرب «بل اخترع أصولها السريان حينما تنصَّروا وأرادوا ضبط قراءاتهم في الأناجيل، فوضعوا علامات صغيرة تدلُّ على الحركات... ولا يزال أثر هذه الطريقة في المصاحف المخطوطة في القرن الثاني للهجرة»^(١٨)، ويوافق أحمد أمين على أنَّه حدث تأثير ضئيل من اليونان والسريان في النحو العربي في العصر الأول لوضعه وأنَّه لم يلبث أن تطور بعد نقل الفلسفة اليونانية إلى العربية إلى تأثر النحو العربي بها في قواعده وعلمه^(١٩)!

ويرى فريق آخر من الباحثين أنَّ الصلة الوثيقة بين اللغة العربية وبين غيرها من اللغات السامية كالسريانية والعبرية التي تشعبت جميعاً عن أصل واحد قديم لا تعني بالضرورة اعتماد العربية على غيرها، فالعكس ممكن فرضاً مادامت القضية احتمالاً، كما يرى هذا الفريق أنَّ النحو العربي يدور على نظرية العامل وهي لا توجد في أيِّ نحو أجنبي، وإنَّ انبعاث النحو في العراق وتصدُّر العناصر غير العربية لدراسته لا يعني أكثر من أنَّ الحاجة الداعية إلى إيجاد هذا العلم إنَّما كانت فساد الآلسنة باختلاط العرب بالعجم، ومن الطبيعي أن يكون ذلك أكثر ما يكون في الأماكن التي يكثر فيها هؤلاء الأعاجم كالعراق، وإنَّ الأعاجم الذين أقبلوا على النحو العربي إنَّما فعلوا ذلك لحاجتهم إلى تفهم الدين الجديد الذي اعتنقوه عن طريق دراسة قواعد لغته، وإنَّ المشابهة القليلة بين النحو العربي ونحو اليونان في تقسيم الكلمة عند العرب إلى اسم

وفعل وحرف مثلاً أسوة بتقسيم اليونان الكلمة إلى اسم وفعل ورباطه، وفي بعض المصطلحات النحوية العربية أيضاً التي أشبهت مثيلاتها في منطق اليونان سردها إلى أن تأثر العرب بمنطق اليونان وفلسفتهم إنما كان في تنظيم النحو وتبذيره وتقسيمه وفي بعض مصطلحاته وأساليبه وفي طرق الحجاج والمناقشة فيه، ولم يكن التأثر في أصول النحو وأساسه لأن هذه كانت قد وضعت قبل نقل المنطق اليوناني إلى العربية وقبل أن تزدهر حركة الترجمة إليها من غيرها، وإن ما يقال من أن تأثر النحو العربي المباشر بنحو الأجانب الذي إلى الطفرة فيه وإلى أكماله المفاجيء في كتاب سيبويه ليس دقيقاً لأن فكرة النحو العربي فكرة قديمة ترجع إلى منتصف القرن الأول للهجرة، وقد أخذت قواعده تنمو وتتطور إلى أن نضجت واكتملت في أواخر النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة وليس من المعقول أن يكون في الأمر طفرة ليس في مقدور العرب أن يفعلوها وحدهم بعد هذا الزمن الطويل من التطور من أبي الأسود المتوفى سنة ٦٨٩هـ إلى سيبويه المتوفى سنة ١٨٨هـ، والأمر في حقيقته لا يخرج - فيما أظن - عما يقال من أن نحاة البصرة الأولين قد عرفوا أن لبعض اللغات الأجنبية نحواً فحاولوا أن يضعوا للعربية نحواً مماثلاً معتمدين في ذلك على ملكاتهم العقلية التي رقيت بتأثير ما وقفوا عليه من الثقافات الأجنبية وخاصة فلسفة اليونان^(٢٢) أو منطلقهم فأبدعوا علم النحو ابتداء على ما قاله لينمان^(٢٣) الذي أضاف «أنه لا يوجد في كتاب سيبويه إلا ما اخترعه هو والذين تقدموه»^(٢٤) وعلى ما قاله فايل من أن الرواية العربية حفظت لنا «في مجموعات مختلفة من كتب التراجم وصفاً لمسلك نمو هذا العلم الذي هو أجدد العلوم أن يعدّ عربياً محضاً»^(٢٥) كما رآه دي بور من أن علم النحو اثر راسع من اثار العقل العربي يحقّ للعرب أن يفخروا به، وإن العرب لم يكونوا يحبون أن تعكّر عليهم النظريات الفلسفية العامة صفاء اللذة التي يجدونها في دقائق لغتهم وأنه كثيراً ما نُفّر اساندة اللغة المتشددون من صيغ لغوية أتى بها مترجمو الكتب الأجنبية^(٢٦).

ومثل هذا الذي قيل في تطور قواعد النحو يقال في تطور الحركات التي نشأت رموزها كالنحو بسيطة كنقطة فوق حرف أو بين يديه أو تحته، ثم تطورت مثله إلى وضعها الحالي كحركات مأخوذة من الحروف المشابهة لها حين اكتشف الخليل بن أحمد الرابطة بينهما.

وقد عرّف أهل الصناعة من القدامى وغيرهم النحو وحده بتعريفات متعددة بعضها يقضي إلى بعض وحدّوه حدوداً تشمل الصرف معه ويؤدي بعضها أيضاً إلى بعض تختار منها جميعاً ما قاله ابن جني المتوفى سنة ٢٩٢هـ من أنّه «انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقيق والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم عنها ردّ به إليها»^(٢٦) وما قاله عبد القاهر المتوفى سنة ٤٧١هـ «وأعلم أن ليس النظم إلّا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها.... فليست بواجد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم ويدخل تحت هذا الاسم إلّا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ووضع في حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساده أو وصف بمزّة وفضل فيه إلّا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وتلك الفساد وتلك المزية وتلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدت يدخل في أصل من أصوله ويتصل بباب من أبوابه»^(٢٧) وما نقله السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ عن صاحب المستوفى وهو أنّ «النحو صناعة علمية ينظر لها أصحابها في ألفاظ العرب من جهة ما يتألف بحسب استعمالهم لتعرف النسبة بين صيغة النظم وصورة المعنى فيتوصل بإحداهما إلى الأخرى»^(٢٨) وتعريف الأشموني المتوفى سنة ٩٢٩هـ بأنه «العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي اختلف منها»^(٢٩) وتعريف الخصري المتوفى سنة ١٢٨٧هـ بأنه «يطلق على ما يعنى الصرف تارة وعلى ما يقابله أخرى ويعرّف على الأول بأنه علم بأصول مستنبطة من كلام العرب يعرف بها أحكام الكلمات العربية حال أفرادها كالإعلال والادغام والحذف والإبدال وحال تركيبها كالإعراب والبناء وما يتبعهما من بيان شروط لنحو النواسخ وحذف العائد وكسر إنّ أو فتحها ونحو ذلك وعلى الثاني يخصّ بأحوال التركيب»^(٣٠)

وللنحو صلة وثيقة بفروع العربية الأخرى، فهو من هذه الفروع يرتكز وسائرهما

عن كلام العرب، ويبحث مثلها فيه، ويتعرف بالاشتغال معها على جميع نواحيه من أساليب وتركيب في مطلق الكلام، وأوزان وقوافٍ في الشعر منه، وبنيات للكلمات وصبط للأواخر وغير ذلك. ولقد كان النحو أسبق هذه الفروع وصعاً وتدوياً لأنّ اللحن تشرب إلى الإعراب قبل غيره لذلك احتاجوا أولاً إلى ما يعصم اللسان عن الخطأ فيه، ومرتّ اللحن إلى اتساع رقعة الدولة الإسلامية واحتلال العرب بسواهم وتلاقى لغتين أو أكثر في الألسنة، وهذا - كما هو المتصور - يؤثر فيها، فتدخل كل لغة الصميم على صاحبها وقد حش المسلمون على القرآن كما حافوا على اللغة من هذا اللحن فساد علماءهم إلى وضع القواعد التي تصبط اللغة وتعين على فهمها وإدائها المعاني وتيسر في الوقت بعينه لغير أبنائها سبل تعلمها وإجادتها، وقد وصف ابن خلدون المتوكل سنة ٨٨٠ هـ الأمر كنه وصعاً دقيقاً شاملاً فقال: «لما جاء الإسلام وهارقوا الحجار وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالعات التي للمتعربين. ففسدت بما ألقى إليها ممّا يغايرها لجوهرها إليه باعتبار السمع، وحشي أهل الحلوم منهم أن تعسد تلك الملكة رأساً ويطول العهد فيعلق القرآن والحديث على الفهوم، فاستبسطوا من مجازي كلامهم قوايين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأسماء معها بالأشياء مثل أن «فاعل مرفوع والمفعول منصوب والممتدأ مرفوع، ثم رأوا تعير الدلالة بتعير حركات هذه الكلمات فأصطلحوا على تسميته إعراباً وتسمية الموحب لذلك التعير عاملاً وأمثال ذلك، وصارت كلّها اصطلاحات خاصة بهم ففقدوها بالكتابات وجعلوها صناعة لهم مفسومة وأصطلحوا على تسميتها بعلم النحو»^(١٦٦)

ولقد بدا اللحن في السنة العامة، واشتهر من أمثلة ذلك قولهم في البداية هذه عصاتي^(١٦٧) «بذل عصاي، وقولهم بالعراق حيّ على الصلاة بكسر الباء بدل فتحها، وقول أعرابي مؤذن قال أشهد أنّ محمداً رسول الله منسوب رسول ويحك يفعل صادراً وقد ألفت كتب فيما لحن به العامة ككتب الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ وأبي عبيدة المتوفى سنة ٢١٠ هـ والمازني المتوفى سنة ٢٤٩ هـ وأبي حاتم السجستاني المتوفى سنة ٢٥٠ هـ، ثم تشرب إلى السنة الخاصة فصنفت لهم بعد ذلك كتب فيما لحوا فيه ككتاب

ما تلحن فيه الحاصة لأبي هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥هـ وكتاب درة القواص في
أوهام الخواص للحريزي المتوفى سنة ٥١٦هـ الذي وضع الحو اليقي المتوفى سنة
٥٢٩هـ تتمته

وفي واضع النحو وتاريخ الوضع اضطراب في الأقوال وعناية أُنسعت لتقصار
الأراء، فقد رُعم أن واضعه نصر من عاصم^(٢٦) المتوفى سنة ٨٩هـ وأن أول كتاب وضع
في النحو كان له علي الشحيق^(٢٧) أو عبد الرحمن بن هرم^(٢٨) المتوفى سنة ١١٧هـ، قال
أبو النديم: قرأت بخط أبي عديله بن مقلد عن ثعلب أنه قال: روى أبو لهيعة عن أبي
المضر قال: كان عبد الرحمن بن هرم أول من وضع العربية^(٢٩)، أو ابن أبي إسحاق^(٣٠)
المتوفى سنة ١١٧هـ، ورعم أن^(٣١) فارس وغيره أن النحو قديم في العرب أطلته الأيام
وقلّ في أيدي الناس ثم حدّده الإسلام على يد أبي الأسود بإرشاد الأمام علي^(٣٢)، وقد غلا
ابن فارس في هذا علواً شديداً إذ نسب للعرب العاربة معرفتهم بمصطلحات النحو
بتوقيف من قلمهم حتى أنتهى الأمر إلى الموقف الأول وهو الله الذي علّم أدم الأسماء
كلّها.

والمختار لا يعدو أن يكون علماً المقتول سنة ٤هـ لما روي عن أبي الأسود أنه
سئل: من أين لك هذا النحو؟ فقال: لعقت حدوده من علي بن أبي طالب^(٣٣) ولقول أبي
عميرة: أحد أبو الأسود النحو عن علي بن أبي طالب^(٣٤)، أو ما رواه أبو النديم من
أن محمد بن إسحاق قال: رعم أكثر العلماء أن النحو أحد عن أبي الأسود الدؤلي،
وأن أما الأسود أحد ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب^(٣٥)، ولما ذكره الأنباري من
أن الصحيح أن أول من وضع علم العربية وأسس قواعده وحدّ حدوده أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب، وأخذ عنه أبو الأسود^(٣٦)، ولقول الففطي: الجمهور من أهل الرواية
على أن أول من وضع النحو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب^(٣٧)، ولقوله أيضاً: رأيت
بمصر في زمن الطلب بيدي السواقين حراء فيه أسواب من النحو يُجمعون على أنها
مقدمة علي بن أبي طالب التي أحدها عنه أبو الأسود الدؤلي^(٣٨)، ولقوله كذلك: وأهل
مصر قاطبة يرون بعد النقل والتصحيح أن أول من وضع النحو علي بن أبي طالب

واخذ عنه أبو الأسود الدؤلي، وأخذ عن أبي الأسود الدؤلي نصر من عاصم^(٢٩) أو أن يكون أبا الأسود الدؤلي نفسه المتوفى سنة ٦٩ هـ بأمر عليّ أوريا بن أبيه أو أبيه، لما لوضع النحو من حظورة تقتضي التفرع التام. وهو مناح لابي الأسود، في حين تقضت حياة عليّ وعمره في الكهاح وسياسة الناس. روي أن رجلاً بمدينة الحديثة اسمه محمد بن الحسين كان جماعة للكتب وقد الت إليه خزانة صديق له كان مشتهراً بجمع الحطوط القديمة. قال ابن النديم «رايتها وقلنتها فرايت عجباً إلا أن الرمان قد أخلقها وعمل فيها عملاً أدرسها» ورايت ما يدل على أن النحو عن أبي الأسود ما هذه حكايته. وهي (أربعة) أوراق أحسنها من ورق الصبي ترجمتها هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الأسود رحمة الله عليه بخط يحيى بن يعمر^(٣٠) أو قال محمد بن سلام الحمصي. كان أول من أسس العربية وفتح بابها وأبج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي^(٣١) وقال ابن قتيبة إن أبا الأسود «يعد في النحويين لأنه أول من عمل في النحو كتاباً»^(٣٢)، وذهب معاصر إلى أن أبا الأسود استعرض طائفة من كلام العرب وتوصل إلى استنباط بعض القواعد بإرشاد الإمام عليّ وأسماءها النحو ودونها في صحيفة له عرفت عند النحاة بالتعليقة وهي أول كتاب دون في علم اللسان العربي^(٣٣).

على أن أبا الأسود لم يسلم ممن يشك في أولية وضعه النحو بحجة أن عصره لم يكن يتواءم مع ما سبب إليه من الاصطلاحات^(٣٤) الوضعية المربوبة، فهل هذا الاستناد أحمد أمير حين ذهب إلى أن الرواة يكادون يتفقون على أن أبا الأسود ابتكر شكل المصحف، وإلى أن هذا يعد خطوة أولية في سبيل النحو تتمشى مع قانون المشوه، وأنه من الممكن أن تأتي من أبي الأسود، وأن هذا «يلفت النظر إلى أسحو. فعمل أبي الأسود يسلم إلى التفكير في الإعراب ووضع القواعد له» وأن هذه الأمور لما توسع العلماء فيها بعد وسقوا كلامهم بحواً سحوا اسم النحو على ما كان قبل من أبي الأسود وقالوا إنه وأصع النحو للشبه في الأساس بين ما صنع وما صنعوا، وربما لم يكن هو يعرف اسم النحو بتاتاً. إنما الذي له الفضل الأكثر في ذلك التحليل من أحمد ذو العقل الحبار المبتكر الذي قل أن يوجد له نظير في علماء ذلك العصر، والذي عكف على العلم يخترع فيه ويستنبط أصوله من فروعه على طريقة لم يسبق إليها وهو

الذي عمل المحو الذي يعرفه إلى اليوم،^(١٦)

وفعل هذا أيضاً الأستاذ إبراهيم مصطفى الذي عدّ ثعلب فكرة وضع أبي الأسود للمحو أمراً لا يستمع وقال: «إنه لا يعقل أن يكون هذا الرمن المذكور قد تمكّن فيه العرب من الاشتغال بالعلوم ووضع القواعد على هذا الوجه الذي براه في كتب العربية، وقد أكر ذلك^(١٧) المستشرقون وعدّوه حديث حرافة، ولقد ساقنا هذا الإشكال إلى أن شتبه سبيلاً أخرى في البحث ففتتعا كتب المحو الماقية بأيدينا لنعلم أقدم عالم نسب إليه رأي محو في هذه الكتب، وكان أول هذه الكتب كتاب سيبويه، ويلاحظ أول ما يلاحظ أننا لم نجد في كتاب سيبويه ولا فيما بعده من الكتب رأياً محوياً نسب إلى أبي الأسود ولا إلى طبقتين بعده، فمن أمام حقيقة واضحة أحدث من كتب المحو وهي أن أقدم من نسب إليه رأي محو هو عذاه من أبي اسحاق الحصرمي^(١٨)، أما عمل أبي الأسود فقد كان يقط المصحف كما أشارت إليه الروايات لمصطبه على سبيل العرب وسعته في القول، وذلك ما كان يقصده الرواة من كلمة المحو، وهو عمل طبيعي في صدر الدولة الإسلامية، أما هذه القواعد المحوية التي كتب لها هذا العمر الطويل فإن أول من نهج سبيلها عذاه من أبي اسحاق. وقد دخل عامل آخر في الأمر وهو هوى بعض المؤرخين إذ كانوا يحوون أن يفسد كل شيء إلى علي وشيعته، فعفيت الحقيقة حتى أن يحلها البحث في كتب المحو ذاتها لا في أخبار الطبقات^(١٩)»

في حين ناقش الشيخ محمد الطمطار في هذه الشكوك فقال: «نحن لا ندعي أن أبا الأسود قد وفق إلى المحو على عرار ما براه في كتبنا من تعريفات ومصطلحات وتقاسيم فإن طبيعة عهده السابق على عصر المفسرين تقتضي مجرد اتحاهه إلى أبواب هذا العلم إجمالاً حسماً تقتضيه العطرة العربية وذلك كاف في اعتباره المؤسس له إلا أنه مما لا يختلف فيه أناس أن النهضة بهذا العلم كان عمادها الخليل بن أحمد ومع هذا فإن عاصره الأساسية التي أهتدى إليها أبو الأسود بتعليم وإقرار الإمام علي لم تتغير ولم تتبدل على أناس لو تعطلنا شخصية أبي الأسود وبزغته وعصره لايقناً صحة هذه النسبة، فقد كان علوي الرأي يحاهر بشيعته وقد توالى خلافة الأمويين رماً ليس بالقصير وهم منطوون على نار من الحقد للعلويين واتباعهم فكيف يدعون

أمرا جليلاً كهدا يصح عن كثر الزمان ويحدث في غضون الأسفار وهم أحرص الناس على العصر من شأن العلويين وشيعتهم ولا سيما في مثل هذا الشأن ذي السن والأثر الخالد. (١٩)

وباقشها أيضاً مناقشة مستفيضة باحث معاصر آخر عدها إلى أن ما دفع الاستاذ إبراهيم مصطفى إلى ما قاله هو على ما يبدو إكثار المستشرقين الذي عده حقيقة لا تغفل الحدال على الرغم من أن الرواة يكادون يجمعون على أن واضح المحو هو أبو الأسود دامر عتي. وليس بهم مصلحة تجعلهم يوثرون علماً عن غيره ولا والياً على آخر، وهم ليسوا متعصبين لأبي الأسود وعلى ليدفعهم تعصبهم إلى بعض رياء وأن أبي اسحاق. وبحر إن علماً أن في تاريخ رياء ما يدعو إلى بعضه فلسفاً يعلم من تاريخ ابن أبي اسحاق ما يدعو إلى كراهيته، بل إن الرواة يسمون إليه أنه كان العناية في المحو شديد انحراب للقباس فيه، وأنه أول من علله^٢ وحتى رياء نفسه منهم أيضاً يسمون له أو لمواقفته فضل فكرة ضبط المصحف لحفظه سليماً، لأنه كما يقولون الذي جمع الرجال الذين احتار منهم أبو الأسود من أعانه على إنحاز عمله

وقد اصاف هذا الباحث أن أحداً لم يقل إن أبا الأسود وضع المحو كاملاً، فهو قد وضع فكرة أنواع ستدعتها الظروف بدون دقة أو تفريع ممّا سراه اليوم في كتب المحو، ولا ينبغي على كل حال أن يستغرب منه انتكابه في وضع قواعد عامة تساعد على ضبط اللغة بعد أن عمل على ضبط المصحف، وإذا كانت صلة أبي الأسود بعتي ما يعرف، وإذا كان رياء في حياة عتي من انصاره وقواده، فإنه لن يكون عسيروا علينا أن نعلم الصلة التي تربط علياً بهذا الموضوع. أما المذهب الذي سار عليه الاستاذ إبراهيم ليعلم أقدم عالم سب إليه رأي نحوي في الكتب الموجودة بين أيدينا فعليه كثر من القصور لأنه جعل الكثافة والتقييد معياراً له مع أننا نعلم أن الكثافة جاءت متحجرة عند العرب. وأن العلماء ظلوا فترة طويلة يعتمدون على الرواة والحفاظ، وأن العناية في التدوين لم توجه في أول الأمر إلا للمصحف، فليس بعريب إن أن يتأخر تسجيل المحو، وليس بعريب كذلك ألا يمسب إلى أبي الأسود شيء في كتاب سيبويه، فعلم نسبة شيء إلى أبي الأسود إن لا يدل على أنه لم يكن له رأي في المحو. وأما دهان إلى أن مراد الرواة بالنحو الذي سموا وضعه لأبي الأسود هو بقط المصحف محسب وأن

الأمر احتلط عليهم عطشوا أنه بذلك وضع المحو هو ممّا لا يستقيم، إذ لا يعقل أن يحتلط الأمر عن الرواة وهم يمتصون على نقط أبي الأسود للمصحف مرةً وعي وضعه مسائل من المحو مرةً أخرى، وليس هناك في الوقت نفسه ما يدعو إلى أن سيء الظن بالرواة وهم أكثر ممّا بحثنا في لغة العرب واقترب ممّا رمى لشدة العلم، ثم ما لا يقول فيه بسمه أن عبد ربه إلى أبي الأسود من أنه قال من العرب من يقول لولاي لكان كذا وكذا، ليس هذا بحثنا في صميم المحو، ثم ليس رده عن بني قشير حتى قالوا بعد أن سمعوا آياته

يقول الأزدلون بنو قشير طوال الدهر لاتنسى عليا
فللت لهم وكيف يكون تركي من الأعمال ما يجدي عليا
أحبّ محمدا حبّا شديدا وعباساً وحمزة والوصيا
فإن بك حنهم رشدا أصبه ولست بمخطيء إن كان غيا

شككت يا أبا الأسود في قولك فإن بك حنهم، فقال أما سمعتم قول الله تعالى وإنا وإياكم لعل هدى أو في صلال مبر^{١١٤} ليس رده هذا استدلالاً في مسألة بحوية، وبدا كأن ذلك لم يذكر في كتب المحو فإن ذكره في كتب الأدب لم يصرحه عن طبيعته المحوية، كما لا يستطيع أحد أن يدعي أن عماد يقط المصحف كلمة كلمة ويلاحظ حركات حروفه حرماً حرماً ثم يخرج من عمله هذا دور أن تتكوّن لديه فكرة أولية عن شؤون المحو^(١١٥)

وأياً ما كان الأمر في هذا الموضوع فإنّه من العسير جداً تحليلته تحليلية ثامة وبيان حقيقته على وجه القطع وذلك لكثرة ما عبه من الأقوال المتصارمة والروايات المتعددة والمواقف المتعارضة، فقد رأينا من يقول إن سنة وضع المحو إلى الإمام علي دفعت إليها روح التشيع عند أصحابها كما هو الحال عند القائلين بذلك من القدماء، وأنها شاعت في البيئات الشيعية كما كان في مصر أيام القفطي، ويرى أن انشغال علي بمسئوليّاته الدينية والسياسية يحول في الحقيقة دور ذلك، بالإضافة إلى أن ابن سلام وهو أقدم من أثرت عنهم الرواية في هذا الموضوع لم يشر إلى مجهود علي في تأسيس المحو

وهناك من يذهب إلى أن شبه الإجماع في جانب أبي الأسود وحده، وأن أحداً من الرواة حتى من من سب وصنع المحو إلى غير أبي الأسود لم يتعرض لفي سنة الوضع إليه. وأن ما رواه ابن المديم من أن عبد الرحمن بن هرمز أول من وضع العربية لا ينهض لأنه رواية من مصدر واحد لا يوجد ما يدعمها من المقول أو المقول فضلاً عن أن ابن المديم نفسه ساقها في حديث واحد إلى جانب روايات أخرى تسب وصنع المحو لغيره فلا يعول عليها إحد إراء شبه الإجماع في جانب الدوالي. هذا بالإضافة إلى مصحف مخطوط^(*) عثر عليه في مسجد عمرو بن العاص في القسطة. وهو اثر مادي قديم جمع الشكل الذي وضعه أبو الأسود بمداد احمر، وبقط الإعجام التي عرفت عن نصر بن عاصم بمداد اسود^(**)

وهناك من ينادي بإخراج وضع نصر بن عاصم نقط الإعجام من دائرة النحو لأنه ليس منه. ويعتقد في الوقت نفسه أن تأليفه كتاباً في النحو كما قيل لا يعني أنه أول كتاب فيه لأن أما الأسود قبله ترك صحيفة في النحو لم يكتب^(**) غيرها. ولأن المدة التي عاشها نصر بعد وفاة أبي الأسود وهي عشرين سنة تسمح له بتأليف كتاب في النحو بعده. وهذا على كل حال لا يقوى على الطعن في سنة أولية الوضع في النحو لأبي الاسود

ومن الواضح أن حصيلة هذه الأقوال والمناقشات تؤول مقارنتها إلى أن يشعر بأنه لا سبيل إلى تحقيق تاريخ وضع النحو البتة. وإلى أن معرفة واضعه تكاد تكون معضلة. كما أنها تفصي في الوقت نفسه إلى حقيقة تدور وحدها مؤكدة وهي أن وضع النحو إما كان في الفترة المحصورة بين عني المقتول سنة ٤٠هـ وعبد الرحمن بن هرمز المتوفي سنة ١١٧هـ وهي لا تتجاوز كثيراً سبعين سنة

وقد أصاب الاضطراب أيضاً الروايات في السبب الذي حمل أما الأسود على وضع النحو كما هو راجح على ما نطق به جمهور الرواة، فقد روي أنه سمع قارناً يقرأ قوله تعالى: أن الله بريء من المشركين ورسوله^(*) يكسر اللام في رسوله فقال ما ظننت أمر الناس يصل إلى هذا ووعد عني ريبان بن أمية والي المصرية - أو على اسمه عبيد الله

واليه من بعده - وقال له إني أرى العرب قد حالطت الأعاجم وتغيرت نسبتهم عندس لي أن أصح للعرب ما يقيمون به كلامهم، وعيل إن رجلاً لحن أمام رباد - أو أنه عند قه - فطلب من أبي الأسود أن يرسم للناس العربية، وقيل إنه رسمها حين سمع ابنه يقول ما حسن السماء وهي لا تزيد الاستفهام وإنما تريد التثبث فقال بها هو لي ما حسن السماء. وروي أنه شكّا فساد لسانه لعني فوضع له بعض أبواب النحو وقال به أصح هذا النحو إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة المشهورة والمنسوبة في ثنائيا كتب التراجم وأمهات مصنفات الأدب

ولا ينبغي لنا الشك في جميع أسباب وضع أبي الأسود النحو لتعدد رواياتها وتناقضها واضطرابها، والأغرب أن تؤذي بالنفس إلى الاطمئنان والثقة بأن سبب وضع النحو لابد أن يعود إلى أسباب متعددة لا إلى سبب واحد إن الأليق أن يكون الباعث على الوضع التعدد في الخط والتنوع فيه وليس الخط الواحد الذي يمكن أن لا يكون حافراً كافياً للقيام بمثل هذه المهمة الجليلة

وكما اضطربت الروايات في السبب الذي حمل أبا الأسود على وضع النحو فإنها اختلفت كذلك في أول ما وضع من أنواعه بصرف النظر عن الواضع، فقد روي أن أبا الأسود - وضع باب الفاعل والمفعول به والمضاف وحروف الرفع والنصب والجر والحزم^{١٧٠} وروي أن أول من أصل النحو وأعمل فكره فيه - أبو الأسود السدوسي وبصر من عاصم وعبد الرحمن من هرمز فوضعوا للنحو أسواها وأصلوا له أصولاً، وذكروا عوامل الرفع والنصب والخفض والحزم ووضعوا باب الفاعل والمفعول والتعجب والمضاف^{١٧١} وروي أن سبب وضع عليّ لهذا العلم ما روى أبو الأسود قال دخلت على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب فوجدت في يده رقعة فقلت ما هذا يا أمير المؤمنين فقال إني تأملت كلام الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء - يعني الأعاجم - فاردت أن أصح لهم شيئاً يرجعون إليه ويعتمدون عليه ثم لقي إليّ الرقعة وفيها مكتوب، الكلام كله أسم ومعل وحرف، فالأسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ به، والحرف ما جاء لمعنى، وقال لي أصح هذا النحو وأصف إليه ما وقع إليك، وأعلم يا أبا الأسود أن الأسماء ثلاثة طاهر ومضمر وأسم لا ظاهر ولا مضمر، وإنما

تتفاضل الناس يا أبا الأسود فيما ليس مطاهر ولا مصرور. وأراد بذلك الاسم المنهمل.
قال أبو الأسود فكان أول ما وقع في إن وأحوالها ما حلا لكن، فلما عرضنها عن عبي
قال لي وأين لكن، فقلت ما حسنتها منها، فقال هي منها فالحقها. ثم قال ما أحسن
هذا النحو الذي نحوت، فذلك سمي النحو بحوا.^(١٠٠)

وقد نشأ النحو وبما وأردهر في البصرة والكوفة حيث استوطنهما العرب والعجم
معا وظهر اللحن فيهما بينهم ظهوراً لا مثيل له في سائر البلاد. قال أبو الطيب، ولا علم
للغرب إلا في هاتين المدينتين، فأنما مدينة الرسول فلا يعلم بها إماماً في العربية. قال
الأصمعي. أقمت بالمدينة زماناً ما رايت بها فصيدة واحدة صحيحة إلا مصحفة أو
مصنوعة. وكان بها من دأب يصنع الشعر وأحاديث أسمر وكلاماً يمسسه إلى العرب
مسطوط وذهب علمه وحقيقت روايته. وممن كان بالمدينة أيضاً علي الملقب بالحميل وكان
وضع في النحو كتاباً لم يكن شيئاً. وأما مكة فكان بها رجل من السواري يقال له ابن
قسطنطين يشدو شيئاً من النحو. فأنخبرنا جعفر بن محمد، قال أخبرنا إبراهيم بن
حميد قال أخبرنا أبو حاتم قال وضع ابن قسطنطين مئة شيئاً من النحو. ثم قدم
البصرة فسمع النحو فطرح جميع ما كان عمل ووضع شيئاً آخر لا يساوي شيئاً
أيضاً، وأما بعداد مدينة ملك وليس بمدينة علم. وما فيها من العلم منقول إليها
ومحلول للخلفاء واتباعهم ورعيته.^(١٠١)

ولقد مرّ علم النحو بمراحل تطور متعاقبة كانت في البداية سريعة وذلك بسبب
ارتباطه بضبط القرآن والحديث حتى يظلاً بمساحة من اللحن ولتجريب من جعله في
حقيقة الأمر ثمرة من ثمرات الدراسة القرآنية. وهذه المراحل هي إعراب القرآن
بوضع رموز لحركات أو أواخر كلماته وهو العمل الذي قام به أبو الأسود. ثم إعرابه
لتمييز حروف الهجاء المتشابهة في الصورة بعضها عن بعض وهو ما قام به نصر بن
عاصم. ثم استدال ما فعله أبو الأسود بوضع الحليل بن أحمد الحركات التي يعرفها
بالإعراب مع بقاء نقط الإعجام عن ما كانت عليه وبعد هذا بدأ النحو يبحث في تأليف
الكلام وعلمه. ثم تحوّل أخيراً عن أركان ممتدة طويلة إلى ما سراء من أشكال لدرس
فيه على نحو ما هو مشاهد في أمهات كتب النحو عند المتأخرين

ولقد ظهرت في مراحل التطور المتعاقمة علامات جديدة بالتسجيل، من ذلك صرب المثل وسوق الدليل لبيان صحة ما ذهب إليه أهله كما حدث في قصة أبي الأسود^(١١) مع بني قشير. ومنه إجابة العلماء على ما أصبح يوحى إليهم من الأسئلة عن ضبط معبر أو استعمال خاص كالذي روى من قول أبي الأسود «من العرب من يقول بولاي لكان كذا وكذا»^(١٢) فالمطوفون أن يكون هذا ردًا أو كالترد على سؤال وجهه أو يمكن أن يوحى إليه عن حوار استعمال الصمير بعد لولا. وكسؤال الحجاج ليحيى بن يعمر المتوفى سنة ١٢٩ هـ - اتحدني الحسن قال الأمير أفصح من ذلك، قال عرمت عليك لتخبرني، وكانوا يعطون عرائن الأمراء، فقال يحيى بن يعمر نعم في كتاب الله قال ذلك أسمع له، ففي أي شيء من كتاب الله قال فرات قل إن كان أباؤكم وأباؤكم وأحواكم وأرواحكم وعشيرتكم وأموال أقترفتوها ونحارة تحشون كسادها ومساكن ترصوبونها احب إليكم من الله ورسوله^(١٣) فترفع احب وهو منصوب، قال إذا لا تسمعني الحسن بعدها، فمهاه إلى حراسان^(١٤)

ومن هذه العلامات بدء التعليل والقياس على يد عبد الله بن أبي اسحاق الحصرمي المتوفى سنة ١١٧ هـ الذي قال عنه يونس، هو والمخير سواء،^(١٥) أي هو الغاية. والذي تعقب الفرزدق وهو من هو في الفصاحة وحطاه في قوله
وعض زمان يا بن مروان لم يدع من المال إلا مسحاً أو مجلف
إذا قال له على أي شيء ترفع أو محلف فحاجه عن ما يسوئك ويؤهلك^(١٦) فقد كان الحصرمي يعقل لما يراه بأنه معطوف على منصوب فينصب والذي تعقبه أيضاً في مدحه يزيد بن عبد الملك بقوله

مستقبلين شمال الشام تضربها بحاصب كنديف القطن منثور
على عائمنا يلقى وأرخلنا على زواحف تُرْجَى مَخْهَارِير
إذا قال له أسأت إنما هو مَخْهَارِيرٌ. وكذلك قياس المحو في هذا الموضع^(١٧)

ولما رأى الفرزدق هذا التثني من الحصرمي ثارت نفسه عليه فقال يهجوهم
فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى موالينا

وتم يتروك امر ابي اسحاق هذا بصا مدون بقدر فقل له لقد لحقت فيه وكس
ينبغي ان تقول: مولى مؤال^(٢٦)

وبعد من هذه العلامات بصا مرور ظاهرة التفسير والشرح والتعليق مما اخرج
لنحو عن دائرة الروية وحدها إذ لم يعد النحاة كعيسى من عمر المتوفى سنة ١٤٩هـ
واشي عمرو من العلاء المتوفى سنة ١٥١هـ يكفون منقل ما يسمعون ولكيهم احدثوا
يجاولون إلى جانب التماس العزل والأسباب بوجهات نظرهم في مسائل النحو التي لم
تعد متعق عليها فتح باب الجراح والحدس والتحريح والتأويل وبحو ذلك مما يعني ان
الدرس النحوي قد حطا على أيديهم خطوة متقدمة إلى الامام

ومن اهم العلامات ظهور علم النحو على يد الحليل بن احمد المتوفى سنة ١٧٥هـ
وسيمويه المتوفى سنة ١٨٨هـ فاما مكتملا باصحا وصحت قواعده وعرعت مسائله
وسطت فصاياه ومدت اصنافه وفننت معانيه والتفست به العلل وأقتضت همه
امغروس، وأوضح فيه الجراح حتى بلغ اقصى حدوده وأقيم فيه الحوار على أسس
دقيقة متأسكة يقضي بعضها إلى بعض عن نحو ما كان منهما في كتاب سيمويه بييه
وبن استاده الحليل مما يحيط بالنحو ويقف بالمطرة الشاملة على كل صغيرة وكبيرة
فيه مع الموازنة والاستنباط

وبعد لحليل وسيمويه اسرار اعلام النحو في جميع المراحل فهما اللذان ملأه
بالاصول والفروع والأدلة والأقيسة، وسيمويه هو الذي اخرج كتابه الجامع لقواعد
النحو المحيط بمسائله فقد كان الحليل كما يقول احمد امين رضى من ان يعكف على
الكتب بدونها فهو يخترع العلم ويتركه لتلاميذه يدونونه ولم يكن يرضى ان يؤلف في
النحو حرفا او يرسم منه رسماً واكتفى في ذلك بما اوحى إلى سيمويه من علمه وثقته
من دقائيق نظره ونتاج فكره ولطائف حكمته فحمل سيمويه ذلك عنه وتقلده وألف فيه
الكتاب الذي اعجز من تقدم قبله كما امتنع على من تأخر بعده^(٢٧) لذلك اكثر سيمويه
في كتابه من النقل عن استاده الحليل، ونقل كذلك عن غيره بالاصافة إلى رواية ما
سمعه والنو ربة بين ما يروي وينقل وغير ذلك من الأمور التي تجعل النحو في كتابه

مشارفا على التمام معاً مهّد الطريق للتأليف لكي يصعروا مسائل المحو في وضعها النهائي الذي يشاهده الآن. ولكي يستحوّ مصطلحاته التسمية الاصطلاحية ويحدّدها التحديد الواضح الدقيق اللذين يعرفهما في الوقت الحاضر

وعندي أنّ سيبويه يعدّ أول من فتح باب التأليف في الدرس المحو ليُحجّه بعد ذلك من وليه من النحاة المناطقة في العصور المتعاقبة وليجمعوا في منطقة النحو وفلسفته بما أخرج أكثر مسائله في النهاية عن دائرة الحسّ اللغوي والرواية الصافية ليدخلها في دائرة المعقول وذلك عن طريق اختراعه الأساليب وإثباته أحياناً بالمعقد منها وعقده الأبواب التي تقتصر ما جاء به المحويون منها قياساً معاً لم تنكلم به العرب حتى تكمل لهم الأوجه التي تصوّروها^(٦٨)

أما المرحلة الأخيرة الطويلة الممتدة فهي مستمرة إلى عصرنا الحاضر الذي شهد محاولات لا يمكن وصفها بالحاسمة على يد بعض المعاصرين في سبيل نحو ميسر مستط سهل إلى نحو ذلك من الدعوات. وأهمّ مظاهر هذه المرحلة تأثر النحو بالمنطق في البدء تأثراً لم يلبث أن يساعد حيلاً بعد حيل، تتضح أوائل ذلك عند المبرّذ المتوفى سنة ٢٨٥هـ. وذلك على نحو يريد في الغالب على ما كان منه في نحو سيبويه، عقد شهد المبرّذ اتساع نطاق الترجمة للمنطق والتسعة وسائر العلوم والمعارف، وتأثر لذلك في نحوه بالمنهج الفلسفي وطرائق المنكلمين ومصطلحاتهم وأساليبهم، يظهر هذا حلياً في مثل قوله: «فإنّ طلحة ولو قلت في جميعها طلحتون للرمك أن تكون أشته ودكرته في حال وهذا هو الحال»^(٦٩) وقوله عن الأفعال: «كان حذها ألا يعرب شيء منها لأنّ الاعراب لا يكون إلا بعامس فإذا جعلت لها عوامل تعمل فيها لرمك أن تجعل لعواملها عوامل، وكذلك عوامل عواملها إلى ما لا نهاية»^(٧٠). وقد اختصر المبرّذ كسيبويه الصريح وربما نفّس فيها واستعد بها عن اللسان العربي على نحو ما فعل من مثله مثل جعفر من قلت ومعت ومثل تفعر من القول والمبع ومثل تفعل منهما^(٧١) كما اختصر من مثله الأساليب وربما بالغ فيها وأعرب وجمع إلى التعقيد اللغوي والتعليل المنطقي كما فعل في باب مسائل أي في^(٧٢) الاستفهام وكقوله عن الفصول: «فإن قلت الذي التي اللذان الذين التي في الدار جاريئهم مطلقون إليهما صاحباها اخته ريد، كان حيداً بالغا»^(٧٣)



ومع أن التائر بالمنطق والفلسفة والاثرام بهما في الدرس النحوي كان أهم مظاهر هذه المرحلة منذ بدايتها فإن رقص بعض المحاة منذ البداية لهذا الاتحاة يعد أيضاً من أهم محالها، فقد راينا الجرمي مثلاً المتوفى سنة ٢٢٥هـ يأنى التعقيد ويكره كثرة التقديرات بل يرى أن ما لا يحتاج إلى تقدير خير ممّا يحتاج إليه، وكان يرى أيضاً أن يقتصر في النحو على السماع والقياس على المسموع دون الإتيان بمفروض غير مستعملة وصور ذهنية نظرية لم يرد لها مثيل عن العرب على نحو ما جاء به المبرد ومن بعده لأن في ذلك تكلفاً شديداً

وهذه الفروض والصور إن دلت على قدم راسخة في العلم وعلى تمرس أصحابها الطويل به فإنها في الحقيقة تمتع الأثر على صيق لا يفل عن صيق بعض المتفكرين بها كالجرمي وكاس مصاء المتوفى سنة ٥٩٢هـ الذي حمل في كتابه «الرد على النحاة» على كل ذلك حملة شعواء وكثيرهما

على أن كثرة ساقدي النحو ولاسيما في الزمان الأخير لما شابه من التعميق والتفلسف ثم غلب عليه منهما في شتى سواحي درسه لا يعنى بالضرورة الدعوة إلى بذه وإهماله وإطراحه، ذلك لا يسمي أن يحظر على بال منتصف، فللنحو مبادئه وفضله وللحاة منازلهم وأقدارهم، ويكفي النحو أنما يبحث فيه عن اللغة التي تكلمت بها العرب ويرى بها القرآن كل ما ينبغي أن يتطلع إليه ويعمل في سبيله يهدوه وروية ودون تحامل هو أن يكون النحو حالياً من التعمية والتكلف والتعقيد والافتعال وبحودك من السلبيات المفروضة في صيغته وأساليبه وأحكامه وأمثلته أما ما كان من كره بعض الناس - علماء وعبر علماء في الأرمية المختلفة - للنحو ورفضهم له بحجة ما راوه فيه، وذلك كالذي روي من أن اعرابياً وقف على حلقة أبي زيد الأنصاري المتوفى سنة ٢١٥هـ فطأه قد جاء يسأل عن مسألة في النحو فقال له سل يا أعرابي، فقال له على البديهة

لست	للنحو	جفتكم	لا ولا فيه	ارغب
أنا	مالي	ولامريء	أبد الدهر	يُضرب
خل	زيداً	لشانه	أبغما شاء	يذهب

وَأَسْمَعَ قَوْلَ عَاشِقٍ قَدْ شَجَاهَ النَّظْرُ بِ
هَمَّةٍ الدَّهْرَ طِفْلَةً^(٧٤) فَهُوَ فِيهَا يُشْتَبِ^(٧٥)

وما روي من إيشاد عمار^(٧٦) الكلبي في هجاء الحويين وقد عيب عليه بيت من شعره فامتعض لذلك

مَاذَا لَقِينَا مِنَ الْمُسْتَعْرِبِينَ وَمَنْ
إِنْ قُلْتَ قَالِيَّةً بَخْرًا يَكُونُ بِهَا
قَالُوا لَحْنَتْ وَهَذَا لَيْسَ مُنْتَصِبًا
وَحَرَّضُوا^(٧٧) بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ خُفْقٍ
كَمْ بَيْنَ قَوْمٍ قَدْ أَحْتَالُوا لِمَنْظِقِهِمْ
مَا كَلَّ قَوْلِي مُشْرُوحًا لَكُمْ فَخُدُوا
لَأَنْ أَرْضِي أَرْضَ لَا تُشْتَبُ بِهَا

قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا
بيت خلاف الذي قباسوه أو ذرعوا
وذاك خفض وهذا ليس يرتفع
وبين زيد غطال الضرب والوجع
وبين قوم على إعرابهم طبعوا
ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا
نارَ المجوس^(٧٨) وَلَا تُبْنَى^(٧٩) بِهَا الْبَيْعُ^(٨٠)

اقول إن هذا وأمثاله ينطوي على مبالغات يسغي أن تردّها أو تحدّ من اثرها ماثورات
كثيرة تضادّها في الاتجاه وتتفوّق عليها في القوة. وقصص متعددة تظهر مدركة النجاة
وتصرّح باعتزازهم بانفسهم وتبج صوراً من تكريمهم. فقد كان عبد الملك بن مروان
يقول: «تعلّموا النحو كما تتعلّمون السس والفرانص»^(٨١)، ومما امتدح به النحويون قول
الشاعر

النحو يبسط من لسان الأذكن
فإذا طلبت من العلوم أجلّها

والمرء تكرّمه إذا لم يلحن
فاجلّها منها مقيم الألسن^(٨٢)

وقول ابن شبرمة قاضي الكوفة: «إن الرجل ليلحن وعليه الحرّ الأذكن فكان عليه أحلاقاً
ويعرب وعليه أحلاق فكان عليه الحرّ الأذكن»^(٨٣). وروي أن الرشيد أشرف على
الكسائي وهو لا يراه مقام الكسائي ليلس نعله لحاجة يريدها. فاستدّرها الأمير
والمأمون وكان مؤدبهما فوضعاها في يديه فقبل روعسهما وأيديهما ثم أقسم عليهما ألا
يعاودا علماً جلس الرشيد مجلسه قال أيّ الناس أكرم حدماً؟ قالوا أمير المؤمنين
اعزّه الله قال بل الكسائي يخدمه الأمير والمأمون. وحديثهم الحديث^(٨٤)، وروي أن

سليمان بن عليّ والي الأهواز أرسل إلى الحليل يلتصق منه الشخصوس إليه لتأديب أولاده ويرغمه، ولكنه كان راهداً عفيف النفس لا يختار صحبة الملوك والأمراء فلم يستحب له وأحرج إلى رسول سليمان حمداً يأساً وقال له ما عسدي غيري، وما دمت أجدّه علا حاجة في سليمان، فقال الرسول فماذا أطلعك عنك؟ فأنشأ يقول

أبلغ سليمان أنّي عنه في سعة وفي غنى غير أنّي لست ذا مال^(٨٨)

واراد الوثائق أن يستنقي المارسي عنده فقال له المارسي: يا أمير المؤمنين إنّ الغنم لغني قريك والمطر إتيك، والأمن والعور لديك، ولكنّي ألفت الوحدة وانست بالانفراد ولي أهل يوحشي البعد عنهم ويضرب بهم ذلك، ومطالبة العادة أشدّ من مطالبة الطباع^(٨٩) ولما اعتذر قال له الحليفة: لا تقطعنا وإن لم تطلبك، فقلت السمع والطاعة، وأصر لي بالث دينار^(٩٠) وقال ابن خلدون عن المحو: به ينسب أصول المقاصد بالدلالة معيروف الفاعل من المفعول والمتدا من الحر ولولاه لجهل أصل الإعادة^(٩١)؛ وقال أبو بكر بن مجاهد في فضل المحو: قل في ثعلب يا أبا بكر اشتغل أصحاب انقران بالقرن مفاروا وأصحاب الحديث بالحديث مفاروا وأصحاب الفقه بالفقه مفاروا، واشتغلت أبا مريد وعمره غلبت شعري ماذا يكون حالي؟ فأنصروعت من عنده هرايت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فقال لي أقرئ أبا العباس مني السلام، وقل له أنت صاحب العلم المستطيل^(٩٢) قال أبو عدياه الرودياري أحمد من عطاء: أراد أن الكلام به يكمل، والحطاب به يجمل، وأن جميع العلوم معتقرة إليه^(٩٣)

وبحو هذه الأقوال والأشعار والروايات كثير ميثوث في مطون الأسفار، ومشاهاها جميعاً ومدارها بيان قيمة المحو العظمى والدعوة إلى تعلّمه والكشف عن ممرلة أعلام النحاة والحثّ على الاقتداء بهم والاطلاع على آثارهم، فالمحو في حقيقة الأمر أشرف العلوم لأن به صلاح الألسنة وسلامة المنطق وسلاسة البيان واستقامة الأداء، وبه يحسن الناس تلاوة القرآن وعن طريقه يخدمون الدين وسواسطته يرفعون شأنهم ومصاحبة الكلام لا تكون إلّا به وصحة الكتابة لا تتم إلّا بعونه، فهو مفتاح العلوم ومعيار الآداب، وبه يسلم كلّ من الكتاب والسنة من عادية اللحن والتحريف ويستتبر

سبيل العلوم على تنوع مقاصدها، وهو الذريعة إلى تحديد المعنى وتقريب التفاهم وإرساء دعائم الحكم الصحيح. وهو في نهاية المطاف المعيار الذي يوزن به الكلام وتحفظ به اللغة خصائصها ومقوماتها وتنقي به الأكسن مرالقها، فهو درع اللغة الوافي وقوام الأكسة الحافظ ووسيلة تدوق القور والسر فيها على بصيرة

أما أعلام النحاة فإن مكادتهم بين علية القوم كانت رقيقة إذ كان منهم المؤدبون الذين يشرفون على تربية أولاد الخلفاء والأمراء والرؤساء كالكسائي والمبرد. ومن لم يستطع من هؤلاء أن يحظى بأحد الأعلام مؤدباً لأولاده كان حريصاً على أن يفصل به ويستزيره ويخطب وده ويجزل عطائه كذلك كانت منزلتهم في الحياة العامة. فقد عظمهم الناس وانزلوهم من انفسهم منزل الإجلال والإكثار وضربوا بهم المثل في سعة العقل وحدة الفهم والإحاطة بمسائل العلم. فما أقرؤه خلد وبقي وما هجنوه سقط وضاع. وكان علية القوم وعامة الناس على حد سواء حرصاً منهم على صحة كلامهم يلجئون إليهم إذا خفي عليهم وجه الصواب فيه، فقد استقدم المهدي مثلاً الكسائي بسبب الرغبة في معرفة كيفية صياغة الأمر من السوالك بالاضافة إلى حرصه على وجود نحوي كبير إلى جانبه يرجع إليه عند اللزوم^(١)؛ وكان اتصال المازني بالوائق بسبب بيت من الشعر ضل في توجيهه الحاضرون فأرسل الخليفة إلى المازني استأذ العربية في عصره فحضر وانقذهم من حيرتهم^(٢)!

○ ○ ○

● الهوامش ●

- (١) السيوطي، المزهر ٦ ٢٦٠
- (٢) انظر د / حسن عرن، اللغة والنعر ٤٢ - ٤٤
- (٣) من الآية ٧٦ من سورة الإسراء
- (٤) من الآية ١ من سورة المؤمن
- (٥) من الآية ٩٧ من سورة آل عمران
- (٦) اسطر عيسى صاوي، أخبار القدرين وأسرار التأويل ١ ١٧٣

- (٧) انظر ابن هشام، شرح شعور الذهب ١٦، ٢٤
(٨) ابن جني، الخصائص ٢، ١٢
(٩) انظر شيداء من هذه الامة في اسماني، فقه اللغة ٢٢٨ - ٢٢٩
(١٠) انظر النشائي، فقه اللغة ٢٢٨
(١١) انظر التمشيطي، الدرر النواع ١، ١٤١
(١٢) انظر ابن فارس، الصحاح ٦، ٩، ١٢ والسيوطي، المرعر ١، ٩ ومحمد الطبطبائي، مشاة المعر ١٣
(١٣) ابن جني، الخصائص ١، ٢٤
(١٤) انظر ابن منظور، لسان العرب ١٥، ٩، ٢ واس النديم، الفهرست ٢٥٦، ٣٧
(١٥) الانباري، نزهة الاالياء ٥
(١٦) جرجي زيدان، تاريخ ادب اللغة العربية ١، ٢٢١
(١٧) جرجي زيدان، تاريخ ادب اللغة العربية ١، ٢٢٢، ٢٢٣
(١٨) الرازي، تاريخ ادب العرب ١، ١٠٢، ١٠٣
(١٩) انظر احمد امين، ضحى الاسلام ٢، ٢٩٣
(٢٠) انظر د/حسن عوي، اللغة والمعر ٢٠٩ - ٢٥٠
(٢١) انظر احمد امين، ضحى الاسلام ٢، ٢٩٣
(٢٢) جو توك فاين، مقدمة الانصاف ٣ ترجمة د عبدالحليم المصاوي، مذكرات عبد الرحمن اسيد، مدرسة البصرة المحوية ١٠٤
(٢٣) انظر دي بوز، تاريخ الفلسفة في الاسلام ١٠ - ٤١
(٢٤) ابن جني، الخصائص ١، ٢٤
(٢٥) عبد القاهر، دلائل الإعجاز ٦٤ - ٦٥
(٢٦) السيوطي، الاقتراح ٦
(٢٧) الاشعوني، منهج السالك إلى الفقه أبي مالك ١٥
(٢٨) الحضري، حاشيت على ابن عثيل ١٠
(٢٩) ابن خلدون، المقدمة ٥١٥
(٣٠) انظر الجاحظ، البيان والتبيين ٢، ٢١٩
(٣١) انظر الانباري، نزهة الاالياء ١٠
(٣٢) انظر الرازي، تاريخ ادب العرب ١، ٢٨٨
(٣٣) ابن النديم، الفهرست ٥٩
(٣٤) انظر ابن فارس، الصحاح ٦، ٩، ١٢، ومحمد الطبطبائي، مشاة المعر ١٣
(٣٥) الانباري، نزهة الاالياء ١١
(٣٦) الانباري، نزهة الاالياء ٨
(٣٧) ابن النديم، الفهرست ٥٩
(٣٨) انظر الانباري، نزهة الاالياء ١١
(٣٩) القفطي، ابياء الرواة ١، ٤، ٦، ٥
(٤٠) ابن النديم، الفهرست ٦١

- (٤١) ابن سلام، طبقات فعول الشعراء ١٢.
- (٤٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ٢، ٧٣٩.
- (٤٣) انظر طه الراوي، نظرات في اللغة والنحو ٧.
- (٤٤) هذا التشكيك ينسحب بالضرورة على الإمام علي للسبب نفسه.
- (٤٥) أحمد أمين، ضحى الإسلام ٢، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٠.
- (٤٦) انظر دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٢٢.
- (٤٧) هذا الدكتور شوقي ضيف هذا التذوق فقال «إنّ هناك خطأ شاع وذاغ قديماً وحديثاً وهو ما ينسب إلى أبي الأسود وتلاميذه من وضع بعض مبادئ النحو، وهي إنّما بدأت توضع مع الجيل التالي عند أبي إسحاق الحنظلي» - مد / شوقي ضيف، المدارس النحوية ٥.
- (٤٨) نقلًا عن د / عبد الرحمن السيد، مدرسة البصرة النحوية ٥٢ - ٥٤ بتصرف.
- (٤٩) محمد الطنطاوي، نشأة النحو ٢٢، ٢٣.
- (٥٠) انظر الانتبائي، نزعة الآباء ١٨.
- (٥١) من آية ٢٤ من سورة سبأ.
- (٥٢) انظر د / عبد الرحمن السيد، مدرسة البصرة النحوية ٥٤ - ٦٠.
- (٥٣) بعد هذا المصنف أقدم مصنف منقط في العالم وهو موجود بحالته الأولى في دار الكتب المصرية، انظر د / حسن عيون، اللغة والنحو ٢٣٦.
- (٥٤) يصف جورج زيدان هذا المصنف بأنه مكتوب بمداد أسود وفيه نقط حمراء اللون، فالنقطة فوق الحرف فتحة وثمت كسرة وبن يديه ضمة كما وصفها أبو الأسود لما أراد التنقيط وأتروه بكانت فقال له إذا رأيتني فتحت فني بالحرف فانقط نقطة فوقه وإن ضمت فبن يديه وإن كسرت فمن تحت، انظر جورج زيدان، تاريخ أدب اللغة العربية ١: ٢٢٢.
- (٥٥) انظر الرافعي، تاريخ أدب العرب ١: ٢٨٧، وطه الراوي، نظرات في اللغة والنحو ٧.
- (٥٦) من آية ٣ من سورة التوبة.
- (٥٧) ابن سلام، طبقات فعول الشعراء ١٢.
- (٥٨) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين ١١، ١٢.
- (٥٩) الانتبائي، نزعة الآباء ٤ - ٥.
- (٦٠) أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين ٩٨ - ١٠١.
- (٦١) انظر القفطي، إنباء الرواة ١: ١٧.
- (٦٢) ابن عبد ربه، العقد الفرید ٢: ٣١٢.
- (٦٣) من آية ٢٤ من سورة التوبة.
- (٦٤) انظر السمرائي، أخبار النحويين البصريين ٢٣.
- (٦٥) انظر الانتبائي، نزعة الآباء ١٨.
- (٦٦) انظر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين ٣٢، والانتبائي، نزعة الآباء ١٩، ٢٠.
- (٦٧) انظر أحمد أمين، ضحى الإسلام ٢، ٢٩٠، ٢٩١.
- (٦٨) انظر مثلاً هذا باب استكبره النحويين وهو قبيح فوضهوا الكلام فيه على غير ما وضعت العرب، - سيدييه، الكتاب ١: ١٦٧.

- (٦٩) المبرد، المختضب ٤: ٨، وانظر في ذلك سيبويه، الكتاب ٢: ٩٥.
(٧٠) المبرد، المختضب ٤: ٨٠.
(٧١) انظر المبرد، المختضب ١: ١٠٩ - ١١٠.
(٧٢) انظر المبرد، المختضب ٢: ٢٩٧، وانظر سيبويه، الكتاب ١: ٤٠١.
(٧٣) المبرد، المختضب ٢: ١٢٢.
(٧٤) الطغلة: الجارية الناعمة، انظر الفيروزا باري، القاموس المحيط ٤: ٧.
(٧٥) انظر الانتباري، نزعة الالباء ١٢٨.
(٧٦) او عمرو الكلبي، انظر ياقوت، معجم الادباء ١٢: ١٠٢ - ١٠٤.
(٧٧) او خرصوا، اي قالوا كذباً، انظر ياقوت، معجم الادباء ١٢: ١٠٤.
(٧٨) كبلاد فارس.
(٧٩) كبلاد الروم ونحوها، اي لست اعجمياً.
(٨٠) انظر ابن جني، الخصائص ١: ٢٢٩ - ٢٤٠.
(٨١) انظر ابن عبد ربه، العقد الفريد ٢: ٢٠٨.
(٨٢) انظر ابن عبد ربه، العقد الفريد ٢: ٣٠٨ - ٣٠٩.
(٨٣) انظر الربيدي، طبقات النحويين والتفويين ١٢.
(٨٤) انظر ياقوت، معجم الادباء ١٢: ١٩٢.
(٨٥) انظر السيوطي، بغية الوعاة ١: ٥٥٨.
(٨٦) انظر ياقوت، معجم الادباء ٧: ١١٦.
(٨٧) انظر ياقوت، معجم الادباء ٧: ١١٦.
(٨٨) ابن خلدون، المقدمة ٥١٤.
(٨٩) انظر السيوطي، بغية الوعاة ١: ٣٩٧.
(٩٠) انظر القفطي، إنباء الرواة ١: ١٤٤.
(٩١) انظر القفطي، إنباء الرواة ٢: ٢٥٩.
(٩٢) انظر ياقوت، معجم الادباء ٧: ١١١ - ١١٢.

المصادر والمراجع

- أخبار النحويين البصريين، السمراني، تحقيق فريتش كرنكو، بيروت سنة ١٩٢٦م.
- الاقتراح في أصول النحو، السيوطي، ط٢ حيدر آباد سنة ١٣٥٩هـ.
- إنباء الرواة على أنباء النحاة، القفطي، تحقيق محمد أبي الفضل، دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٢م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ط٢ مصطفى البابي الحلبي بعصر سنة ١٩٦٨م.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، تحقيق محمد أبي الفضل، عيسى البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٦٤م.
- البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، ط٢ بمصر سنة ١٩٦٠م.
- تاريخ أداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، مصر سنة ١٩١١م.
- تاريخ أداب اللغة العربية، جورجى زيدان، دار الهلال بالقاهرة سنة ١٩١٤م.
- تاريخ الفلسفة في الإسلام، دي بور، ترجمة عبدالهادي أبي ريده، ط٤ بالقاهرة سنة ١٩٥٧م.
- حاشية الخضري على ابن عقيل، مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٤٠م.
- الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٢م.
- دائرة المعارف الإسلامية، دار الشعب بمصر.
- الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع، الشنقيطي، مطبعة كردستان بالقاهرة سنة ١٣٢٨هـ.
- دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق محمد رشيد رضا، ط٢ بمطبعة المنار بمصر سنة ١٣٣١هـ.
- شرح شذور الذهب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق محي الدين عبدالحميد ط ١٠ بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٦٥م.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٦م.
- الصاحبي، ابن فارس، تحقيق السيد صقر، عيسى البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٧٧م.
- ضحى الإسلام، أحمد أمين، ط٧ مكتبة النهضة المصرية.
- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بمصر بدون تاريخ.
- طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، تحقيق محمد أبي الفضل، الخانجي بمصر سنة ١٩٥٤م.

- العقد الفريد، ابن عبد ربه، تحقيق د/ مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية ببيروت سنة ١٩٨٣م.
- فقه اللغة وسرّ العربية، الثعالبي، تحقيق مصطفى السقا وزميليه، مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٧٢م.
- الفهرست، ابن النديم، المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٤٨هـ.
- القاموس المحيط، الفيروزا بادي، ط٢ مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٥٢م.
- الكتاب، سيبويه، بولاق سنة ١٣١٧هـ.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر ببيروت بدون تاريخ.
- اللغة والنحو، دراسات تاريخية وتحليلية ومقارنة، د / حسن عون، مطبعة رويال بالاسكندرية سنة ١٩٥٢م.
- المدارس النحوية، د / شوقي ضيف، دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨م.
- مدرسة البصرة النحوية، د / عيد الرحمن السيد، العراق سنة ١٩٦٨م.
- مراتب التحويين، أبو الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبي الفضل، نهضة مصر سنة ١٩٥٥م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، تحقيق جاد المولى وزميليه، عيسى البابي الحلبي بمصر بدون تاريخ.
- معجم الأدباء، ياقوت، تحقيق مرجليوت، دار المأمون بمصر سنة ١٩٢٨م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة جمال للنشر ببيروت بدون تاريخ.
- المختضب، المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة سنة ١٢٨٦هـ.
- المقدمة، ابن خلدون، دار الشعب بالقاهرة بدون تاريخ.
- منهج السالك إلى الفية ابن مالك، الأشموني، عيسى البابي الحلبي بمصر بدون تاريخ.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات الأنباري، تحقيق محمد أبي الفضل، دار نهضة مصر سنة ١٩٦٧م.
- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي، ط٢ سنة ١٩٦٩م بمصر.
- نظرات في اللغة والنحو، طه الراوي، المكتبة الأهلية ببيروت سنة ١٩٦٢م.